

رحلة مع قافلة الحياة  
«الجزءان الثاني والثالث»



بدر خالد البدر

# رحلة مع قافلة الحياة

## «الجزءان الثاني والثالث»

١٩٤٢ - ١٩٦١ م

١٩٦٢ - ١٩٧١ م

طبع بإشراف مركز البحوث والدراسات الكويتية

الكويت ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الكلمة الصادقة

يقول السياسي البريطاني لُفنبروك : إن الذي يكتب التاريخ يجب أن يتوخى الحقيقة كما حدثت لا كما يريدُها هو أو يريدُها الآخرون لأن الحقيقة ستظهر في المستقبل وتجلب اللوم على من أخفاها أو غيرَها .

## المقدمة

في الجزء الأول من كتابي «رحلة مع قافلة الحياة» الذي صدر عام ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٧ م . ذكرت أن هناك جزأين آخرين ، وأن الجزء الثاني يبدأ في ١٩٤٢ م حيث انتهى الكتاب الأول عام ١٩٤١ م ، وينتهي عام ١٩٦١ م ويبدأ الجزء الثالث أول عام ١٩٦٢ م حتى نهاية عام ١٩٧١ م .

وهأنذا اليوم أقدم للقارئ الكريم ما وعدت به مع الاعتذار عن التأخير . ومع أنني كنت أدون بعض أحداث تلك الأيام التي عشتها ، وهي قليل من كثير بلا شك ، فالذي كنت أدونه هو خلاصة أهم الأحداث والظروف التي عشتها وكان لي دور في بعضها ضمن عملي الرسمي منذ عام ١٩٥٤ م حتى عام ١٩٧١ م ، ومنها وبصورة خاصة فترة عملي في وزارة الخارجية والهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، التي كان سمو الشيخ صباح الأحمد على رأس تلك المؤسسات التي عملت بها ، من الجريدة الرسمية إلى دائرة المطبوعات والنشر إلى وزارة الإرشاد والأنباء إلى وزارة الخارجية وإلى رئاسته للهيئة العامة للخليج والجنوب العربي ، وهي فترة تقارب السبعة عشر عاما مع الرعاية الكريمة والثقة الغالية التي أولاني إياها طيلة فترة عملي مع سموه التي مازلت أعتز بها .

وسيرى القارئ الكريم بين صفحات هذا الكتاب بعض ما قامت به الكويت عن طريق الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، أو وزارة الخارجية لمنطقة الخليج العربي واليمن ، وهو واجب لا فضل فيه ولا منة .

وبهذه المناسبة أود أن اتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية على ما أبداه من رغبة واستعداد لطبع الكتاب . كما أود أن أخص بالشكر الصديقين العزيزين السيد بهاء عبدالقادر الإبراهيم مدير مركز الوثائق بالديوان الأميري ، وكذلك الدكتور يعقوب يوسف الحجري المستشار بمركز البحوث والدراسات الكويتية لما أبدياه من استعداد لمراجعة الكتاب والإشراف على طبعه فلهما خالص الشكر والتقدير . ومن الله التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .

بدر خالد البدر القناعي

الكويت : السادس من ذي القعدة ١٤٢٥ هـ

٢٠٠٤ / ١٢ / ١٨ م

**الجزء الثاني**  
**(١٩٤٢م - ١٩٦١م)**



## أحداث عام ١٩٤٢م(\*)

لقد أنهيت الكتاب الأول «رحلة مع قافلة الحياة» بأحداث عام ١٩٤١ م ، ويبدأ الكتاب الثاني بأهم أحداث عام ١٩٤٢ م الذي تمثل بالنسبة لي شخصياً عام الانتهاء من عالم العزوبة حيث تختلف هذه الفترة - أي فترة العزوبة - باختلاف البشر كل بحسب ظروفه التي عادة ما تفرض عليه سلوكاً معيناً يتمشى مع تلك الظروف . أما مرحلة ما بعد الزواج ، فيعرفها كل من مر بها ، فهناك الزوجة والأطفال فيما بعد ، مع الحرص على ضمان استمرارية تلك الحياة بقدر المستطاع داخل البيت وخارجه .

والحياة في تلك الأيام على صعوبتها كان يخفف منها بساطتها مع الاكتفاء بالحاجات الضرورية ، ومن الأمور المساعدة على ذلك قلة الفوارق في المأكل والملبس بالنسبة لطبقات المجتمع على عكس ما هو عليه الحال هذه الأيام عندما ترى طفلاً في الثانية عشرة من عمره يحمل هاتفاً نقالاً! وكلما صادفت حالات من هذه النماذج دعوت الله أن يكون في عون رب العائلة ذات الإمكانيات المحدودة .

وأعود إلى الوضع العام ١٩٤٢ م في الكويت ، فقد شعرت الحكومة بقلّة مواردها وإمكاناتها وظروف الحرب فشكّلت في هذا العام دائرة للتموين برئاسة سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح الذي كان في ذلك الوقت ولياً للعهد . وتم تكليف دائرة البلدية بعمل إحصاء لسكان الكويت ؛ فشكّلت لجاناً للمرور على الأحياء داخل مدينة الكويت وخارجها ، وتم إصدار بطاقات فيها اسم رب العائلة وعدد أفراد عائلته .

(\*) هذا سجل لبعض أحداث السنوات التي قد تكون ذات أهمية بالنسبة للمؤلف والتي مر بها ضمن تجربته الخاصة أو من خلال عمله الرسمي .

وقد أخبرني الصديق نصف يوسف النصف رحمه الله الذي عايش تلك الفترة وشغل لفترة منصب مدير البلدية أو عضويتها أن ما تم تسجيله من سكان الكويت داخل السور وخارجه بلغ حوالي ثمانين ألف نسمة .

وخلال هذه الفترة أي فترة الحرب نشطت التجارة في الكويت لاسيما مع البلاد المجاورة والهند ، حيث لعبت السفن الشراعية دوراً هاماً في نقل البضائع بسبب ندرة البواخر التي سخرت معظمها للمجهود الحربي ، وأصبحت الكويت مركزاً هاماً للتجارة وتكديس البضائع بسبب خفض رسوم الجمارك بالنسبة للبلاد المجاورة لاسيما العراق وإيران ، كما كانت قوافل الجمال والسيارات تنقل مختلف البضائع إلى داخل الجزيرة العربية ، كل هذه التغيرات حدثت نتيجة لظروف الحرب .

أما بالنسبة لي أنا فقد وجدت من المناسب لي وإمكاناتي المادية المحدودة أن أعمل في تجارة قطع الغيار والمواد الكهربائية . وكنت أعمل بين البصرة وبغداد للحصول على تلك البضائع التي كانت أسعارها ترتفع مع مرور الأيام . كما أن المخزون منها يتناقص بسبب قلة الوارد وكنت أتعامل في داخل الكويت مع المرحوم عبد الرسول فرج الذي كان له محل معروف في السوق الداخلي .

وفي البصرة كنت أتعامل مع تاجر لبناني مسيحي اسمه أمين نعيم ، أما في بغداد فقد تعرفت هناك على تاجر يهودي عن طريق بعض الأصدقاء ، ومن حسن حظي أن الرجلين كانا عند حسن الظن بهما في معاملتهما معي .

أما علاقتي مع المرحوم عبد الرسول فرج فكانت ممتازة ، كما كانت المصلحة مشتركة .

وعلى ذكر التاجر اليهودي فإن اليهود في العراق في تلك الأيام وما قبلها كانوا يعيشون عيشة مرفهة بالنسبة لبقية العراقيين ؛ فمعظمهم كان يمارس التجارة سواء

أصحاب الدكاكين أو كبار التجار . كما كان لهم شأن في وظائف الدولة وفي المؤسسات التجارية لاسيما البنوك التي كانت معظمها أجنبية في ذلك الوقت . وكما يعرف الجميع فقد كانت بالكويت جالية يهودية ، وكان لها سوق للأقمشة يسمى سوق اليهود ، كما كان لهم معبد بالقرب من «براحة مبارك» ، وقد اطلعت على وثائق رسمية لعقارات في معاملات بيع وشراء بالكويت باسم يهود . وهذا ينطبق على كافة البلاد العربية والإسلامية منذ أقدم العصور . كما كانت لهم أملاك و ثروات في كل بلد عربي وإسلامي .

أين هذا مما يقوم به إرييل شارون وأمثاله الذين لم يشبع نهمهم وجشعهم ما تم نهبه من الأراضي والأموال الفلسطينية حتى يقوم بجرف ما بقي بيد الفلسطينيين من أراض زراعية وهدم المساكن فوق أهلها في قطاع غزة والجدار الذي بينه وسط الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية بحجة منع الاعتداءات . فإذا كان ما يدعيه صحيحاً فلماذا لا يقيمه على الأراضي التي حددها مشروع التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م .

وقبل انتهاء ذلك العام ١٩٤٢م تم عقد زواجي على ابنة العم وكانت متطلبات الزواج غاية في البساطة ، كما كان الحال في تلك الأيام ، وعلى نحو ما سبقت الإشارة إليه .

وقبل أن أختم أحداث عام ١٩٤٢م ، وهو العام التي بدأت فيه القوات الألمانية بالتوقف ، إن لم نقل بالتراجع ، فالانتصارات في السنوات الأولى التي اكتسحت فيها القوات الألمانية النازية بولندا وفرنسا وهولندا وبلجيكا واليونان في أوروبا ثم إفريقيا التي اكتسح فيها القائد الأسطورة الألماني المارشال رومل شمال أفريقيا حتى وصل إلى العلمين حيث توقف هناك بسبب نقص المعدات والتموين ، عندها انتهز الجنرال البريطاني مونتغمري هذه الفرصة وقام بهجوم كاسح مما اضطر القوات الألمانية إلى

التراجع في العلمين ، أما القوات الألمانية الزاحفة على روسيا فقد توقفت عند بداية فصل الشتاء وتساقط الثلوج ، ولاننسى معركة بريطانيا الجوية في سبتمبر في عام ١٩٤٠م حيث صمد السلاح الجوي البريطاني للهجوم الجوي الألماني ، فقد سميت تلك المعركة الجوية بمعركة بريطانيا ، فلو خسرتها بريطانيا لأعطت الفرصة لغزوها بحراً من الشواطئ الفرنسية ولو نجح الألمان في تلك المعركة لتغير وجه التاريخ .

وقبل البدء في الحديث عن عام ١٩٤٣م لابد من العودة إلى عام ١٩٤١م وبالذات ديسمبر ١٩٤١م عندما هاجمت اليابان قاعدة بيرل هاربر البحرية بالطائرات بصورة مباغتة وأتلفت معظم القطع الحربية الأميركية الراسية هناك ، أي إنها أعلنت الحرب على أمريكا حيث كانت هذه نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحرب التي شاركت فيها الولايات المتحدة بكل قوتها وثرواتها الطبيعية ضد ما كان يسمى بدول المحور الثلاث وهي ألمانيا وإيطاليا واليابان ، ولا شك أن دخول أمريكا الحرب رجحت كفة الحلفاء حيث إن ألمانيا لم تجن أي فائدة من دخول اليابان الحرب ، بينما أعداؤها الحلفاء خسروا الكثير في البداية ثم كسبوا الحرب في النهاية كما سيأتي ذكره .

## العام ١٩٤٣م

لقد شاءت إرادة الله أن يكون عام ١٩٤٣م عام خير وبركة لي ، وكان فصل الربيع مناسبة للاستمتاع بالبر المكسو بالأعشاب والأزهار البرية التي كنت تشاهدها في تلك الأيام بمجرد خروجك من بوابات السور ، وأتذكر في ذلك ما أشارت إليه إحدى الطبيبات الأمريكيات في مذكرتها في أثناء فترة إقامتها في الكويت ، ووصف ربيعها حيث تقول : إنها كانت تستمتع بشم رائحة الزهور البرية بمجرد الصعود فوق سطح بيتها الملاصق للمستشفى الأمريكي ! هكذا كان بر الكويت في تلك الأيام عندما لم تكن أراضيها مطروقة بجحافل السيارات ، بالإضافة إلى أن تلك الأماكن التي أشارت

إليها الطيبة أصبحت الآن مدنا وضواحي أبنيتها من الأسمنت المسلح وطرقها مرصوفة  
بالأسفلت .

وأعود إلى حديثي عن تلك الأيام ، فبمجرد خروجك من بوابات السور كنت  
ترى أمامك الصحراء الممتدة حتى تصل إلى قرية حولي وجارتها النقرة ، تلك الأماكن  
التي كانت تشتهر بأبارها العذبة التي كانت يرتوي منها أهل الكويت في تلك الأيام وما  
قبلها ، ولم يكن في كلتا القريتين سوى بعض البيوت المبنية من الطين تحيط بها بعض  
المزارع والآبار ، وبالإضافة إلى أهل تلك الأماكن الأصليين ، فقد كان بعض أهالي  
الكويت لهم فيها بيوت وأكواخ من الطين مسقوفة بسعف النخيل يذهبون إليها في  
فصل الربيع ، كما ذكرت من أجل التغيير والتنزه حتى إن حاكم الكويت في ذلك  
الوقت الشيخ أحمد الجابر الصباح رحمه الله كان له قصر هناك سماه «بيان» وموقعه  
الآن على وجه التقريب عند تقاطع الدائري الرابع مع شارع الفحيحيل ، وكان يخرج  
إليه كعادة بعض الكويتيين في أيام الربيع للإقامة هناك لبعض الوقت ، أما الخيام فقد  
كانت منتشرة في شتى الأماكن التي تكثر فيها أعشاب الربيع ، وعلى ذكريات حولي  
ومياها العذبة في تلك الأيام فإن الشيخ يوسف بن عيسى الفناعي قد مدح تلك المياه  
في قصيدة مطلعها :

ماء الحولي مثله ما دارا

في شربه قد تاهت الأبصارا

أعود إلى بيت القصيد فأقول في تلك الأيام الحلوة خرجت في إحدى الأمسيات  
مع أحد الاصدقاء في سيارته إلى حولي بقصد الاستمتاع بنسائم الربيع ، وفي أثناء  
تجولنا في قرية حولي وإذا بنا نمر أمام بيت الصديق العزيز محمد سليمان العتيبي رحمه  
الله ، وكان الوقت قبل غروب الشمس ، وكان الأخ أبو سليمان يجلس أمام بيته على

أحد التخوت الخشبية ، وكانت أمام البيت فسحة من الأرض مكشوفة خالية من المساكن ومكسوة ببعض الأعشاب البرية ، وكان الهواء عليلاً والشمس تقترب من الغروب ، فجلسنا بقربه أنا والصدیق ، وقد استهوتني تلك الجلسة الحميمة وتلك النسائم التي كانت تعبق بروائح الأعشاب والزهور فالتفت إلى صاحبي أبي سليمان وقلت له إنني أرغب في شراء قطعة أرض تكون قريبة من بيتك وأنت مفوض في اختيار الموقع بالسعر الذي تراه مناسباً ، فأبدى الرجل استعداداً لتولي المهمة فشكرته وغادرنا المكان عائدين إلى المدينة .

ومضت أيام معدودة وإذا بالأخ أبي سليمان يلتقي بي ويخبرني بأنه اشترى لي أرضاً بمبلغ مئتي روبية أي حوالي خمسة عشر ديناراً ، وكان مبلغاً لا بأس به في تلك الأيام .

والغريب في الأمر أن بعض الأهل والأصدقاء لاموني على شراء تلك الأرض بذلك المبلغ لأن بلدية الكويت منحت الأراضي خارج السور مقابل دفع رسم قدره روبيتان والروبية تساوي خمسة وسبعين فلساً ! (راجع صورة إحدى هذه المعاملات في الملحق) فقلت لهم إنني فضلت هذه الأرض لأن فيها سدرية وآبار مياهها صالحة للشرب .

وكان العرف في تلك الأيام جواز التملك خارج السور سواء عن طريق البيع والشراء أو بموجب رسم مدفوع لدائرة البلدية ، وفي كلتا الحالتين لا تعطي الجهات الرسمية وثيقة تملك بحجة أن شركة النفط تمتلك حق التنقيب عن النفط في أي مكان خارج السور ، كما كان يشاع في ذلك الوقت .

وبقيت الأمور على هذا الحال إلى أن سمح الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله عام ١٩٥١م لكل من يملك أرضاً أو سكناً خارج السور بالحصول على وثيقة

رسمية تثبت ملكيته لتلك الأرض أو البيت ، كذلك سمح للذين تملكوا الأراضي بوضع اليد لفترة طويلة بشهادة الشهود بالحصول على وثائق رسمية تثبت ملكيتهم ، ومرت فترة طويلة خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات تباع فيها الأراضي وتشتري بأبخس الأثمان ، ثم جاءت مشاريع الدولة مع تراكم ثروة النفط وحاجة البلد إلى التوسع ، بما في ذلك فتح الطرق وإنشاء المرافق العامة الحكومية منها والأهلية ، الأمر الذي زاد من ارتفاع قيمة الأرض مع مرور الأيام ، وتوسع العمران ، واحتفظت بأراضي إلى أن جاءت الفرصة المناسبة ، وبعد هذه المقدمة أعود إلى أيام ١٩٤٣م فأقول إن هذه السنة نقطة تحول بالنسبة لمجريات الحرب بعد هزيمة الألمان في العلمين ومقاومة الاتحاد السوفييتي وقساوة الطقس في روسيا ، كل هذه العوامل بالإضافة إلى المساعدات الأمريكية رجحت كفة الحلفاء وخففت موازين دول المحور بزعامة ألمانيا .

وقد أظهرت ظروف الحرب تناقضاتها في العالم أجمع ؛ فمن الاقتتال في ميادين القتال ، إلى انتعاش التجارة في مكان وهبوطها في مكان آخر بحسب موقع وظروف ذلك المكان ، والكوبيتون بعامه استفادوا من ظروف الحرب لأنها كانت بعيدة عنهم ، وقد استفادوا كما ذكرت من تضاعف نشاط سفنهم الشراعية وحركتها المتواصلة بين الهند الغنية بمواردها ووفرة السلع فيها وبلدان الخليج ، لاسيما مدينة البصرة التي أصبحت مركزاً هاماً تجارياً وعسكرياً لاسيما بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني التي تطرقت لها بالتفصيل في الجزء الأول وسيطرة الحلفاء ، بعد دخول أمريكا الحرب ، حيث أصبحت البصرة أحد مراكز توصيل المساعدات عبر إيران إلى روسيا بعد أن تم إقصاء الشاه رضا بهلوي الذي كانت له ميول نحو ألمانيا وتنصيب ابنه محمد رضا مكانه . وكما هو معروف فإن وجود الجيوش وما يتبع ذلك من نشاط اقتصادي انعكست آثاره على المنطقة بشكل متفاوت ، وقد لاحظنا ذلك في البصرة بصورة خاصة حيث زاد تداول العملة بيد غالبية الناس وارتفعت أسعار السلع والأراضي

لاسيما بسايتين النخيل التي تضاعفت أسعارها . كما ظهر هذا النشاط والانتعاش في الكويت على كافة المستويات بما في ذلك ارتفاع أسعار السلع والعقار بصورة عامة لاسيما انتعاش تجارة التصدير إلى البلاد المجاورة حيث لم تكن هناك عوائق باستثناء المواد الغذائية ، وقد خصصت السلطات البريطانية بسبب تلك الظروف نظام الحصص لتصدير المواد الغذائية في الهند (الكوتا) لدول الخليج وبأسعار مناسبة مما ساعد على تخفيف حدة الغلاء التي اجتاحت المنطقة مع استمرارية الحرب .

أما من الناحية السياسية الخارجية فأستطيع أن أقول إنه منذ بداية الحرب فإن ميول الناس كانت نحو ألمانيا ، وكان لذلك أسباب كثيرة جوهرية من أهمها :

أن ألمانيا لم توصل بوصمة الاستعمار التي وصمت به بريطانيا وفرنسا في المنطقة ، كما هو معروف والذي أدى إلى نفور الناس من كل منهما ، وحرارة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنكليز في العراق من هذه الشواهد التي حدثت عام ١٩٤١م ، لكن العواطف شيء والواقع شيء آخر ويبدو ذلك في حدثين مهمين .

الحادثة الأولى في هذا العام ١٩٤٣م تم اجتماع قادة الحرب الثلاثة وزعماء التحالف ضد ألمانيا وحلفائها في طهران عاصمة إيران ، وهم الرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس الروسي السوفييتي ستالين ورئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل ، وذلك من أجل زيادة التنسيق للمجهود الحربي فيما بينهم بعد ما تبين ضعف الجبهات الألمانية .

أما الحادثة الثانية المهمة فهي حادثة الإنزال الأمريكي على السواحل الإيطالية بعد أن تم تطهير شمال أفريقيا من القوات الألمانية وانهيار النظام الفاشستي وشنق زعيمه موسوليني والتمثيل به وإظهار الصحف العالمية لصورته وجسمه يتدلى فوق أعواد المشنقة .

## أحداث عام ١٩٤٤م

بعد نجاح الإنزال الأمريكي على السواحل الإيطالية بدأ التفكير جدياً وبصورة سرية تامة من أجل الإنزال على السواحل الفرنسية مع استمرار القصف الجوي على المنشآت العسكرية والمدنية في ألمانيا وفرنسا ، كما استهدف بصورة خاصة الجسور القريبة من الأماكن التي تقرر أن يكون الإنزال فوقها وهي شواطئ النورماندي ، وكانت الاستعدادات هائلة من تصنيع المرافئ العائمة إلى مد أنبوب عبر القنال بين فرنسا وبريطانيا لإمداد القوات المهاجمة بما تحتاج إليه من وقود .

وقد تقرر سرّاً أن يكون اليوم الخامس من شهر يونية (حزيران) من ذلك العام هو يوم الهجوم وأطلقوا عليه اسم D-DAY في أوروبا وفي أمريكا كان اليوم السادس من الشهر بسبب فرق الوقت .

وبدأ الإنزال في يوم تاريخي على خمس مواقع من الساحل الفرنسي في مقاطعة النورماندي وقد شارك في ذلك الهجوم القوات الأمريكية والبريطانية والكندية ، وكانت القيادة العليا للجنرال الأمريكي إيزنهاور وقيادة القوات البريطانية للجنرال أوالمارشال مونتغمري البريطاني .

أما المدافعون الألمان فكانت مقاومتهم شرسة في جهة وخفيفة في أخرى ، وكان أحد قواد الجبهة الألمانية المارشال رومل الذي جرح في إحدى المعارك بجروح بليغة وانسحب من المعركة .

وهكذا استمرت المعارك بينهم ما بين كر وفر ، ولكن الغلبة كانت للحلفاء ، وتم تحرير باريس في السادس والعشرين من شهر أغسطس (آب) حيث دخلها الجنرال الفرنسي (لوكلير) ، وقد دفع الحلفاء ثمناً باهظاً لذلك ، حيث فقدوا ما يقارب مئتين وأربعة عشر ألف مقاتل ، كما تذكر بعض المصادر .

وهكذا فقد صدق من قال إن ألمانيا تربح المعارك ولكنها لا تربح الحرب ، حيث أصبح واضحاً تفوق الحلفاء بالمعونة الهائلة التي قدمتها الولايات المتحدة للمجهود الحربي من مال وسلاح ورجال ، وقد فعلت مثل ذلك في الحرب العالمية الأولى كما هو معروف .

وقد شاع في وقتها أن القيادة الألمانية العليا أدركت وقتها أن ألمانيا خسرت الحرب وأصبحت النتائج المؤلمة واضحة للعيان ، لذلك فكر بعض كبار الضباط في التخلص من هتلر وزمرته الذين يصرون على مواصلة الحرب ، ففي أثناء زيارة هتلر لفرنسا حيكت المؤامرة بوضع قنبلة تحت طاولة الاجتماع الذي سيحضره هتلر وبعض أركان قيادته ، وفعلاً حدث الانفجار ولم يصب هتلر بأذى وبعد التحقيق توصل هتلر إلى معرفة المتآمرين وكان بينهم المارشال رومل ! وتم إعدامهم ما عدا رومل الذي كان يتمتع بسمعة عالية داخل الجيش وخارجه ، وعرف هتلر أن إعدامه سيحدث صدمة وردة فعل عند غالبية الشعب الألماني ويقال إن هتلر أعطاه الخيار بين الإعدام باعتباره مجرماً أو تجرع السم مع الحفاظ على سمعته وشرفه العسكري مع امتيازات لعائلته فتجرع السم ، وبذلك انتهت حياة ذلك العسكري الذي شهد له الأعداء قبل الأصدقاء بالشجاعة والقدرة العسكرية المتميزة .

## زيارة فلسطين

لقد كانت أمنيته منذ مدة أن أزور فلسطين ومدينة القدس والمسجد الأقصى ، ففكرت في ذلك الصيف أن أقوم بتلك الزيارة ، وكانت أسهل طريقة لذلك بسبب ظروف الحرب أن أسافر على الطائرة المائية البريطانية القادمة من الهند وتنزل في شط العرب ثم تواصل طيرانها إلى البحر الميت في فلسطين ومن هناك إلى الإسكندرية ثم بنغازي ومن هناك تعبر إلى إيطاليا ثم مارسيليا وهكذا حتى لندن .

وعلمت وأنا في البصرة أنه لا بد من أخذ فيزا (تأشيرة دخول) من القنصلية البريطانية في البصرة ، وذهبت إلى القنصلية فوجدت أمامي مجموعة من الشباب علمت فيما بعد أنهم من اليهود جاؤوا لنفس الغرض ، وعندما جاء دوري أخبرت الموظف المسؤول وكان هندي الجنسية برغبتي في السفر إلى فلسطين فبادرني أنه بسبب ظروف الحرب فإن حكومة فلسطين تشدد في منح الأجانب تأشيرات الدخول ، قلت له إنني لن أقيم فترة طويلة هناك لأنني أنوي الذهاب إلى لبنان ، قال إذا كان الأمر كذلك سأعطيك تأشيرة عبور (ترانزيت) لمدة ثلاثة أيام ، وأصر على ذلك فلم يكن أمامي خيار لاسيما وأني فعلا كنت أنوي العبور من فلسطين إلى لبنان مع أنني كنت أرغب في البقاء في فلسطين فترة أطول .

وجاء يوم السفر وعند الصعود إلى الطائرة المائية في شط العرب وجدت معظم الشباب الذين شاهدتهم في القنصلية البريطانية . وأقلعت الطائرة متوجهة إلى بحيرة الحبانية الواقعة في الغرب من بغداد حيث تنزل هناك للتزود بالوقود وكانت معظم الطائرات في تلك الأيام تضطر للنزول في مثل هذه المسافات بسبب قلة سرعتها بالقياس مع طائرات هذه الأيام ، وفي أثناء الرحلة جرى الحديث مع بعض الشبان الذين أشرت إليهم ، وتطرق الحديث إلى الفيزا أو التأشيرة فأخبروني بأن تأشيرة الدخول التي حصلوا عليها تسمح لهم بالإقامة المؤقتة في فلسطين مقابل تأمين قدره خمسون دينارا يدفعونها للقنصلية ضماناً للعودة ! ومعنى ذلك أنهم يخسرون ذلك المبلغ إذا لم يعودوا . فأني تشجيع أكثر من هذا على الهجرة لليهود؟ وكم من العرب يرغب في السفر إلى فلسطين توضع تلك العقبات في طريقهم بينما تفتح الأبواب مشرعة من قبل السلطات البريطانية لليهود من كل حدب وصوب؟ وإذا كان من يجادل أو يشك فيما قلته فليرجع إلى سجلات القنصلية البريطانية في البصرة . كذلك علمت أن الوكالة اليهودية في القدس فتحت لها مكاتب لاستقبال أولئك الشبان

اليهود لإيجاد العمل والمأوى لمن يريد الإقامة حال وصوله . كل هذا مقابل خمسين ديناراً تدفع لقنصلية البصرة .

وأعود إلى حديث السفر فقد وصلت الطائرة إلى بحيرة الحبانية بعد حوالي ساعتين ونصف وبعد التزود بالوقود توجهت الطائرة نحو البحر الميت وكانت الشمس على وشك الغروب وأشعتها الذهبية تنعكس على مياهه الراكدة فتعكس ألوانا لاحصر لها شبيهة بألوان الطيف أو قوس قزح . وهبطت الطائرة بالقرب من القاعدة البحرية في مطار قلنديا . وكان عدد الركاب لايزيد على العشرين منهم الشبان اليهود الذين ذكرتهم وبعض البريطانيين الذين صعدوا في الحبانية ومثل هذه الطائرات لم تكن تحمل أكثر من (٢٤) راكبا . ومن هناك أخذت سيارة أجرة إلى القدس ، وأوصلني صاحب السيارة وهو عربي فلسطيني إلى فندق اسمه فندق فلسطين في شارع مأمّن الله ولم يكن بالمستوى الذي كنت أتوقعه . وشارع مأمّن الله يوصل إلى باب الخليل .

وفي الصباح خرجت أتمشى حتى نهاية الشارع ، وكان هناك مقهى اسمه (بكاولي) على اسم المكان المشهور في لندن ، قصدته وجلست فيه .

وفي المقهى شاهدت بعض العرب يجلسون بالقرب مني ، وعرفت أنهم من العراق من لهجتهم ، فسلمت عليهم ، وفي مجري الحديث معهم علمت أنه مر عليهم ما مر علي بالقنصلية البريطانية لكن بعض معارفهم هنا أخبروهم أنه بالإمكان تمديد الإقامة من أجل العلاج وأخبروني عن عنوان طبيب يهودي يقوم بهذه المهمة مقابل دفع مبلغ من المال ، وفعلا ذهبت إليه وكان يهوديا أجنبيا فأخبرته بأني آت لعمل فحوصات طبية فأعطاني شهادة للإقامة خمسة عشر يوما وهو ما كنت أطمح إليه .

بعد ذلك ذهبت إلى قسم الهجرة وحصلت على إقامة خمسة عشر يوما بالإضافة إلى ثلاثة أيام المرور التي حصلت عليها في البصرة .

وفي أحد تلك الأيام كنت أتمشى في شارع البنوك ويقع على مرتفع بالنسبة إلى شارع مأمّن الله وإذا بي وجها لوجه مع الصديق يوسف أحمد الغانم ، ورب صدفة خير من ميعاد ، وكانت مفاجأة سارة لي وله ، وأخبرني بأنه ينزل في «بنسيون» ليس بعيدا من ذلك الشارع ، وذهبت معه لنسأل إذا كان لديهم غرفة ، وقابلنا صاحبة «البنسيون» ، وهي سيدة ألمانية مهاجرة عرفنا فيما بعد أنها يهودية ، وقد أعجبنى المكان وقالت إنه بالإمكان أن تجهز لي غرفة في الغد ، وهكذا انتقلت إلى ذلك البنسيون الصغير والنظيف ، وكنت أنا والأخ يوسف نخرج في غالب الإحيان سويا وقمنا بزيارة للمسجد الأقصى ، وتعرفنا هناك على بعض المسؤولين ، ومنهم شخص من عائلة الإمام في القدس فأحسن استقبالنا وتجولنا معه في المسجد وقبة الصخرة وأصر أن نتناول الشاي عصر ذلك اليوم في بيته في منطقة القطمون ، وكانت منطقة جميلة نظيفة معظم بيوتها من الحجر وتقع على مرتفع تهب عليه نسائم منعشة من البحر .

وفي أحد تلك الأيام زرنا القنصل السعودي في القدس عبدالعزیز الكحيمي رحمه الله . ودعانا في اليوم الثاني إلى تناول الشاي في رام الله التي كان جوها أبرد من القدس بسبب فارق الارتفاع . وعند العودة وجدنا في الطريق مجموعات من رجال الشرطة مع ضباط بريطانيين ، وكان الوضع غير عادي فقبل لنا فيما بعد إنه بينما كان المندوب السامي يمر بسيارته من ذلك المكان - عند الكيلو الرابع - (هكذا) أطلق عليه الرصاص لكنه لم يصب بأذى .

وهكذا مرت الأيام بسرعة وتوجهت بالسيارة إلى لبنان ثم إلى برمانا حيث نزلت هناك في «بنسيون العربي» الذي تملكه عائلة شاهين ، وكنت أعرف السيد شاهين منذ كنت أدرس في مدرسة برمانا . وكان انتقالي من فلسطين إلى لبنان عن طريق الناقورة بالسيارة . وقد بقيت حوالي خمسة عشر يوما في برمانا انتقلت بعدها إلى بحمدون المحطة ونزلت في أحد الفنادق حيث كان الصديق سليمان العتيبي - لحسن الصدق -

ينزل فيه في ذلك الوقت ، كما كان ينزل معنا أحد الوزراء العراقيين في العهد الملكي اسمه عبدالعزيز القصاب وهو من عائلة معروفة في بغداد .

وكان لبنان في ذلك الوقت يعيش ظروف الحرب ، وقد مضى على إعلان استقلاله سنة حيث تولي الشيخ بشارة الخوري رئاسة الجمهورية وتولي رئاسة الحكومة السيد رياض الصلح . وكنا نلاحظ كيف حل النفوذ البريطاني في تلك الأيام محل النفوذ الفرنسي بعد أن هزم البريطانيون فلول جيش حكومة فيشي عام ١٩٤١ . وحلت محلها قوات ديغول- فرنسا الحرة .

وبقيت فترة في بحدون ثم انتقلت إلى دمشق في طريق العودة برا حيث لم تكن الطائرات متوافرة في تلك الأيام ، وعدت إلى عملي الذي أشرت إليه في مناسبة سابقة . وهكذا كان الواحد منا يشعر في نهاية ذلك العام أن الناس بدأت تتحدث عن نهاية الحرب لكن لا أحد يعرف متى ، وذلك بسبب المقاومة الألمانية والهجوم المعاكس الذي كانت تشنه بصورة خاصة باتجاه الجبهة الغربية . أما الروس فقد بدؤوا بتطهير بلادهم من الجيوش الألمانية استعداداً لمواصلة زحفهم نحو الغرب إلى الحدود الألمانية .

### العام ١٩٤٥م عام نهاية الحرب العالمية الثانية

في بداية هذا العام أصبح الناس الذين كانوا يتتبعون أخبار الحرب يوماً فيوماً على ثقة من نهايتها بعد أن توسعت رقعة الإنزال على الشواطئ الفرنسية مع عجز الألمان عن وقف تقدم جيوش الحلفاء وزحفهم والذين بدأوا يخططون لما بعد الحرب ، فأعلن في شهر فبراير (شباط) عن اجتماع بالطة الذي ضم ستالين وروزفلت وتشرشل . والذي تقرر فيه تقسيم مناطق النفوذ في ألمانيا حيث بدأ توغل الجيوش الروسية السوفيتية في شرق ألمانيا كما بدأ زحف الحلفاء الغربيين على الجانب الغربي في الوقت الذي تمكنت فيه القوات السوفيتية من أن تتقدم نحو العاصمة برلين ، وكان

ذلك في شهر نيسان (أبريل) في ذلك العام ، وفي تلك الفترة شاع خبر انتحار هتلر وعشيقته إيفا براون بعد عقد زواجهما ، وفي تلك الفترة دخل السوفييت برلين حيث وجدوا في أحد السرايب التي دلهم عليها أحد المقربين من هتلر جثتين محروقتين تبين بعد الفحص أنهما جثتا هتلر وإيفا براون عشيقته والتي تزوجها فيما بعد ، ثم ظهرت إشاعات فيما بعد أن هتلر هرب متنكرا ثم تأكد بعد فحص دقيق للجثة المحروقة أنها جثة هتلر لاسيما بعد الكشف على أسنانه .

وفي الثامن من شهر مايو (أيار) تم الإعلان عن استسلام ألمانيا ونهاية الحرب في أوروبا . أما اليابان فظلت محافظة على الأراضي والجزر التي احتلتها ما عدا بعض الانسحابات التي اقتضتها الظروف نحو ما جرى لجيشها الذي احتل بورما ووصل إلى حدود الهند .

وفي بداية شهر يوليو (تموز) في هذا العام قررت السفر إلى الهند بغرض التجارة فسافرت بالطائرة البريطانية المائية من البصرة ومنها إلى البحرين ومن البحرين نزلت الطائرة في خور الشارقة . وكان الجو في البحرين والشارقة رطبا حارا والوسيلة الوحيدة للتبريد كانت المراوح الكهربائية التي لاثشفى الغليل بسبب ارتفاع درجة الرطوبة في كلا البلدين . وبعد أن تزودت الطائرة بالوقود توجهنا إلى مدينة جوادر على ساحل بلوشستان ونزلنا في القاعدة البحرية قبل غروب الشمس ، وكان الجو لطيفا ونسبة الرطوبة أقل بكثير مما كان عليه الحال في الشارقة . ومن جوادر توجهنا إلى كراحي فوصلناها ليلا . وبقيت في كراحي يومين وكان الجو مقبولا . وفي كراحي توجهت بالقطار إلى بومبي ونزلت بعد الوصول عند أقاربي حسين بن عيسى وإخوانه وكان لهم محل تجاري منذ بداية القرن وهو محل سكن وعمل في الوقت نفسه ، ومن عادة غالبية الكويتيين في تلك الأيام الذين يزورون الهند ألاينزلوا في الفنادق بل جرت

العادة أن ينزلوا عند أقربائهم أو أصدقائهم أو عملائهم التجاريين ، وفي مشاهداتي لم أجد بيتا من بيوت الكويتيين إلا وفيه أماكن مخصصة للضيوف وغالبيتهم رجال أعمال لا تطول إقامتهم .

وفي الهند ومع انتهاء الحرب بدأت النزعة الاستقلالية تبرز أكثر فأكثر في الهند لكن بعقلانية وحرصا يقودها الزعيم الهندي الزاهد المهاتما غاندي وساعده الأيمن العالي الثقافة جواهر لال نهرو . وعلى ذكر ذلك سمعت وقتها أن أحسن من يجيد اللغة الإنكليزية لفظا وكتابة ثلاثة هم الكاتب الأيرلندي المشهور برناردشو والسياسي المخضرم ونستون تشرشل وجواهر لال نهرو .

وترافق هذه النزعة الاستقلالية ما ظهر عند حكومة العمال البريطانية برئاسة كليمانت آتلي الذي تولى الوزارة في عام ١٩٤٥ إلى ١٩٥١م من استعداد لمنح الهند وباكستان الاستقلال الذي تم في عام ١٩٤٧م .

فاتني أن أذكر أن الرئيس الأميركي فرنكلن روزفلت توفي في شهر أبريل في هذا العام ، أي قبل نهاية الحرب بأسابيع وأصبح نائبه هاري ترومان رئيسا للولايات المتحدة الذي بدأ من بداية توليه يعد الأمور للولاية الثانية وما يتبعها من نشاطات واستعدادات حقا أو باطلا حيث التف حوله اللوبي اليهودي ومخططاته من أجل الاستيلاء على فلسطين ومساومته بأصوات اليهود .

وكانت فلسطين في ذلك الوقت تحت الانتداب البريطاني وموضوع الهجرة الشرعية وغير الشرعية بدأت تأخذ طريقها لاسيما استغلال اليهود لما حدث لهم في ألمانيا النازية وتعاطف الدول الغربية معهم ، وفي المقابل كان النفوذ العربي على الدول الغربية يكاد يكون معدوما .

ومن الطلبات التي تقدم بها ترومان إلى الحكومة البريطانية في تلك الأيام وما بعدها السماح بهجرة مئة ألف يهودي إلى فلسطين وقد وقف ضد هذا الطلب وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت أرنست بفن Bevin الذي اعترض على طلب ترومان ، وألقى كلمة في البرلمان حول هذا الموضوع نشرتها جريدة التايمز الهندية التي تصدر في بومبي والتي تكاد تكون بمستوى التايمز اللندنية في ذلك الوقت ، وكان مما جاء في ذلك الخطاب كما نشرته الجريدة المذكورة قوله «إني لا يمكن أن أسمح بهجرة مئة ألف يهودي إلى فلسطين الأمر الذي سيثير غضب ثمانين مليون مسلم هندي» .

أما العرب فالظاهر أن المستر بفن لم يخطر على باله أنهم سيغضبون ، لقد كان للوكالة اليهودية Jewish agency فرع في مدينة بومبي ، وقد كتب أحد اليهود فيها مقالا يبرر الهجرة نشرته له جريدة التايمز الهندية المذكورة ، وكنت أنا شخصيا أحرص على الاطلاع على هذه الجريدة كل يوم لأهميتها ومانتشره أحيانا من مواضيع جريئة ليست في صالح بريطانيا كما سيأتي ذكره . وقد وجدت في ذلك المقال الكثير من المغالطات ففكرت أن أرد على الكاتب بأسلوب معتدل حتى تتم الموافقة على نشره- (راجع مقال الوكالة اليهودية ورد عليه بالملحق) .

وعلى ذكر جريدة التايمز الهندية ومتابعة قراءتها يوما أذكر أنها قد بدأت في تلك الفترة بنشر محاكمة بعض الضباط الهنود الذين تمردوا على الجيش البريطاني والتحقوا بالجيش الياباني بعد احتلاله (برما) ، وكانت وقتها إحدى المستعمرات البريطانية .

وكان من بين الضباط الذين جرت محاكمتهم اثنان أحدهما مسلم وكان برتبة نقيب (كابتن) واسمه شاه نواز والآخر هندوسي لا أتذكر اسمه ، وكانت التهمة الموجهة إليهما «الخيانة العظمى» والتي كانت عقوبتها الإعدام ، وقد تولى شاه نواز الدفاع عن نفسه حين قال له القاضي إنك التحقت بجيش العدو مخالفا بذلك القسم الذي أديته في أثناء تخرجك وهو الإخلاص للإمبراطورية والملك ، ملك بريطانيا ،

ورد ذلك الضابط بمتهى الموضوعية وقوة الحجة قائلاً نعم لقد أقسمت القسم الذي أشرت إليه من أجل الخدمة في الجيش الأمبراطوري ولكن مع مرور الزمن أدركت أن بريطانيا تستغل بلدي في عدة مجالات لمنفعتها الخاصة ، كذلك فإن بريطانيا كانت تحاول في شتى المناسبات نشر التفرقة بين مختلف الطوائف حسب نظرية فرق تسد واستمر في دفاعه قائلاً إنني لم ألتحق بالجيش الياباني لكي أبدأ "Divide and Rule" سيداً بسيد بل من أجل مصلحة بلدي كما كنت أعتقد ، ثم أضاف قائلاً إن جورج واشنطن حاربكم من أجل تحرير بلاده أمريكا ، ولو تمكنتم من القبض عليه لأصبح في نظركم خائناً! وقد احتفظت بقصاصة من الجريدة التي شملت هذا الدفاع ، وظلت معي لفترة طويلة ولا أدري إن كانت لاتزال بين أوراقى أو أنها فقدت . وفي نهاية هذه المحاكمة صدر الحكم عليه وعلى رفاقه بالإعدام! لكن الجنرال أوكنك الحاكم العام البريطاني في الهند أصدر أوامره بالعفو عن المحكومين! وربما تأثر بهذا الدفاع البليغ . كذلك لا بد أنه كان يعرف بأن الهند تقترب من عهد الاستقلال الذي تم عام ١٩٤٧ م . والذي تم بموجبه إنشاء دولة إسلامية (باكستان) بزعامة محمد علي جناح والتي انسلخت من شبه القارة الهندية بأكثريتها الإسلامية .

أعود إلى موضوع المحكمة والمحكمة ، فقد حدث في إحدى الجلسات حادث فيه من الطرافة ما يستحق الذكر ، فقد كان في الهند خلال فترة الحرب زعيم شاب هندوسي استهوته الانتصارات الألمانية لاسيما ضد بريطانيا المستعمرة لبلاده ، ولهذا السبب أصبح مطارداً من السلطات الاستعمارية في الهند مما اضطره إلى الهروب والالتجاء إلى اليابان حليفة ألمانيا وإحدى دول (المحور) كما كانت تسمى المجموعة المتحالفة مع ألمانيا . وفي تلك الأيام أيام المحاكمة جاء خبر في اليابان بأن ذلك الشاب الهندوسي واسمه صبهاس جندرابوس قد توفي ويظهر أن القاضي في تلك الجلسات التي أشرنا إليها كان من المعجبين بجندرابوس فعند بدء المحاكمة ذكر خبر وفاته وأشاد

بمواقفه الوطنية وطلب إلى الحضور في المحكمة الوقوف دقيقة تقديرا واحتراما لذلك الزعيم فوق الجميع إلا واحداً من الجنسية البريطانية عندها سأله القاضي لماذا لم تتجاوب مع طلب المحكمة وتقف مع الواقفين فرد عليه الإنكليزي قائلاً لأنني اعتقد أن جندياً بوس لا يزال على قيد الحياة! فأسقط في يد القاضي الهندي . وقد جاء ذكر هذه الحادثة الطريف في جريدة التايمز الهندية . وهنا لا بد من الإشارة إلى حدث هام وهو استسلام اليابان بعد أن ألقت الولايات المتحدة عليها قنبلتين ذريتين واحدة على هيروشيما والثانية على نيجازاكي وما نتج عن ذلك من مئات الآلاف من القتلى والجرحى والمعوقين في تلك المدينتين وما جاورهما ، وكان ذلك في أوائل شهر أغسطس (آب) ١٩٤٥م الأمر الذي اضطر اليابان إلى الاستسلام وإنهاء الحرب .

### جولة سياحية

وفي بداية شهر نوفمبر من ذلك العام قمت بجولة سياحية شملت مقاطعة حيدر آباد الدكن التي كان يحكمها حاكم مسلم لقبه (النظام) ، وكان يحكم رعية تقدر في ذلك الوقت بثمانية عشر مليون نسمة غالبيتهم من الهندوس ، وكان لذلك النظام حرس عربي من حضرموت يقدر عددهم بحوالي خمسة آلاف كما علمت ، وقد زرت محلاتهم ومناطق سكنهم حيث يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم وحتى لباسهم اليمني . وغالبيتهم من حضرموت . ولنظام حيدر آباد امتيازات خاصة ، ويقال إن سبب ذلك مساعدة أجداده في الحروب التي خاضها الإنكليز في الهند . ومن هذه الامتيازات الحرس الذي سبقت الإشارة إليه وكذلك إصدار عملة خاصة تشبه العملة الهندية- الروبية- ولكن كتب عليها روية عثمانية نسبة إلى اسم جده عثمان .

وفي الهند في ذلك الوقت عشرات من المقاطعات التي يحكمها أمثال هؤلاء الأمراء الإقطاعيين ، منهم المسلمون ومنهم الهندوس ، ولكن لما انسحبت بريطانيا عام

١٩٤٧ وأعلن الاستقلال وجاءت حكومة جواهر لال نهرو تقلص نفوذهم وسحبت منهم بعض الامتيازات لكنهم بقوا في قصورهم مع الاحتفاظ ببعض أملاكهم .

وفي زيارتي هذه زرت بعض تلك القصور الفخمة وما يتبعها من مرافق مثل الإسطبلات التي تحتوى الأنواع النادرة من السيارات والعربات التي يعود بعضها للقرن التاسع عشر .

وعلى ذكر حيدر أباد التي تقع فوق هضبة الدكن في وسط الهند ، فهناك في باكستان مدينة اسمها حيدر أباد السند لأنها تقع على نهر السند .

وأعود إلى نظام حيدر أباد ، فلقد منحته السلطات البريطانية امتيازات وسلطات أكثر مما أعطيت لغيره من رؤساء الإقطاعيات (الراجات) كما سبقت الإشارة ، وكنت في أحد الأيام مارا بأحد شوارع المدينة الرئيسية وإذا بصافرات الشرطة تنبعث من هنا وهناك ، ورأيت الناس يركضون في وسط الشارع إلى الأرصفة ، ثم توقفت الحركة وإذا بسيارة سوداء فخمة تمر محاطة ببعض الدراجات النارية ورأيت داخلها رجلين يعتمران الطربوش الأحمر أو (الفيس) كما كانوا يسمونه ، وهو غالبا مايكون شعار المسلمين في الهند . وعلمت فيما بعد أن أحد اللذين كانا في السيارة هو نظام حيدر أباد .

وفي تصوري أن عادة لبس الطربوش أخذوها عن المسلمين الأتراك ، كما كان الطربوش منتشر في البلاد العربية . ، وأتذكر في العراق لما بدأ الحكم الهاشمي بدأ الملك فيصل يلبس ما كان يسمى وقتها الفيصلية ثم تحول الاسم إلى «السداه» .

ومن حيدر أباد انتقلت إلى مدينة بنغلور وهي مدينة جميلة تقع على هضبة وجوها معتدل ، وفيها حي أرستقراطي ، كان وقتها معظم ساكنيه من كبار الضباط البريطانيين لاسيما المتقاعدين منهم .

وقد استأجرت عربة تجرها الخيول ، وطلبت إلى سائق العربة أو (الحوذي) ، أو العربي كما يسميه إخواننا المصريون ، أن يأخذني إلى بعض الأماكن المهمة التي تستحق الزيارة . وأخذني أولاً إلى وسط المدينة ، ووقف أمام قبة محاطة بسياج والناس تتحلق حولها والمكان أشبه بأماكن الأضرحة ، لكن الشيء الذي لفت نظري كثرة الغربان أو الغرابيب السود داخل القبة وفوقها والناس الذين أحاطوا بالسياج يرمون لهم بعض الحبوب وبعضهم يأتي بإشارات تدل على قدسية المكان عند أولئك البشر مما أثار استغرابي وعجبي . لكن هذا العجب لم يدم طويلاً حيث أخبرني سائق العربة أن هذه الغربان يقدها المسلمون والهندوس على السواء ! ومما لحظته في أثناء زيارتي للهند أن بعض المسلمين لازالوا متأثرين ببعض الطقوس الوثنية ، وربما لاحظ ذلك غيري من الزوار . كذلك أود أن أذكر عن بنغلور أن هذه المدينة أصبحت فيما بعد من المدن الصناعية الكبيرة في شبه القارة الهندية .

غادرت بنغلور بالقطار متوجهاً إلى مدينة كاليكوت الساحلية التي تقع على الساحل الغربي من جنوب الهند وعلى المحيط الهندي وغالبية أهلها من المسلمين . وتحيط بها غابات كثيفة من الأشجار الضخمة حيث تقطف الأخشاب لاسيما ذلك النوع المسمى (الساج) Teakwood أو خشب التيك باللغة الإنكليزية ، وهو ما يستعمل لصناعة السفن ، ومن البلاد التي اشتهرت بهذا النوع من الأخشاب بلاد بورما الواقعة شمال شرقي شبه الجزيرة الهندية . وكنت قبل وصولي إلى كاليكوت على شيء من العلم بعلاقة الكويتيين بها ، فهم يأتون بسفنهم إليها لنقل الأخشاب لصناعة سفنهم وكذلك لنقل البضائع الأخرى مثل التوابل وغيرها .

وعند وصولي إلى مدينة كاليكوت نزلت في فندق الشاطئ Beach Hotel الذي اعتاد أن ينزل فيه غالبية التجار الكويتيين ، وقد فوجئت بكثرة الكويتيين الذي كانوا في

تلك الأيام يقيمون في الفندق ، وقد كنت أعرف الكثير منهم ، بعضهم من الأقراب  
وآخرون من الأصدقاء ، كما تعرفت على الكثيرين من ربانة السفن المشهورين الذين  
كنت أسمع عنهم .

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى محل يوسف الصقر وهو عميد الكويتيين هناك  
بسبب قدم إقامته في هذه المدينة حتى أن له زوجة من أهالي كاليكوت وله منها ذرية .  
وقد وجدت في مجلسه الكثير من الكويتيين من تجار وربانة سفن (نواخذة) ،  
وبعضهم من أهل الخليج ، وقد أصر - رحمه الله - على أن أتناول الغذاء معهم حيث  
كانت المائدة تضم عدداً كبيراً ممن كان في مجلسه في تلك الفترة .

والحاج يوسف الصقر طيب القلب وقد قدم خدمات كثيرة ونافعة للكويتيين  
وأهل الخليج خلال فترة إقامته في هذه البلاد .

والذي يزور مدينة كاليكوت في تلك الأيام يتصور نفسه وكأنه على شواطئ  
مدينة الكويت ، فالسفن الكويتية الراسية تعد بالعشرات ، والبحارة الكويتيون في  
المقاهى وفي الأسواق ، ورائحة الأخشاب والحبال الكمبار المصفورة من ليف أشجار  
جوز الهند ورائحة (الصل) - وهو الزيت المستخرج من الأسماك المجففة تدهن به  
السفن لحمايتها من ملوحة مياه البحر - تملأ المكان .

إن تلك السفن الكويتية الراسية قبالة الساحل في مدينة كاليكوت Calieut ،  
معظمها إن لم نقل جميعها ، جاءت من منطقتي كراجي وبومبي بعد أن أفرغت  
حمولتها من التمور التي شحنت من نهر شط العرب من بساتين النخيل على جانبه  
العربي والإيراني ، علماً بأن الغالبية هي من الشاطئ العربي بسبب كثافة بساتين  
النخيل الممتدة من مدينة القرنة شمالاً إلى مدينة الفاو جنوباً ، حيث إن بعض الكويتيين

يملكون تلك البساتين ، ومنهم من تملكها منذ أيام حكم العثمانيين للعراق ، وعلى رأس هؤلاء العائلة الحاكمة في الكويت- عائلة الصباح- التي كان لها أملاك في مقاطعة البصرة منذ أيام حاكم الكويت جابر الأول .

وكانت هذه التمور تشحن بعد نضوجها في شهري سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) . لذلك فإنني عند زيارتي إلى مدينة كاليكوت في نوفمبر شاهدت هذا العدد الكبير من تلك السفن التي جاء بعضها بعد أن أفرغت حمولتها كما ذكرت إلى هذا الميناء لنقل الأخشاب بمختلف أنواعها ، ومن أصحاب هذه السفن من ينوى السفر إلى شرق أفريقيا للتزود بخشب (الجنديل) الذي اشتهرت به بعض موانئ شرق أفريقيا والذي يستعمل في سقوف المنازل أيام ما قبل النفط ، سواء في الكويت أو في البلاد المجاورة .

وهذه السفن المسافرة إلى شرق أفريقيا تحرص على تحميل القرميد الأحمر الذي يصنع في جنوب الهند بالقرب من كاليكوت ، وذلك لسببين ، الأول تجاري حيث هذا النوع مطلوب في شرق إفريقيا والثاني الحفاظ على توازن السفينة عندما تتعرض للرياح القوية ، ويسمى (الطعان) Ballast ، وهو أمر متعارف عليه في السفن الفارغة وحتى في الطائرات .

بعد تلك الرحلة الممتعة إلى كاليكوت التي دامت حوالي أسبوع قررت العودة إلى بومبي مارا على مدينتي ميسور ومدراس لأهميتهما ، لاسيما مدينة مدراس الواقعة على خليج البنغال والتي كانت مركزا للمستعمرين البريطانيين ومنافسيهم الفرنسيين كما سيأتي ذكره .

وكانت واسطتي في هذا التنقل القطار ، ومدينة ميسور هي عاصمة المقاطعة المسماة باسمها ويحكمها راجا هندوسي حيث غالبية الشعب من الهندوس .

نزلت بعد وصولي ميسور في دار للاستراحة Rest House تحيط بها الأراضي الخضراء . والشيء الذي لم أكن أتوقعه أنه في أثناء وجبة الطعام وجدت على القائمة (لحم بقري) تم تحضيره على الطريقة الإنكليزية Roastbeef . بينما الديانة البوذية والهندوسية تحرم أكل لحوم الحيوانات والبقر بصورة خاصة التي تعتبر في الهند من المقدسات ، عندها سألت أحد المسؤولين في المطعم عن ذلك فأجابني ، إن هذه الدار بنيت خصيصا للزوار الأجانب لاسيما الأوروبيين وغالبيتهم ليسوا نباتيين !

ومقاطعة ميسور مشهورة بإنها من المقاطعات الغنية بمواردها الطبيعية ووفرة المياه فيها . وفي اليوم الثاني قمت في جولة في المدينة وزرت موقع قصر (الراجا) المبني على الطراز الشرقي الهندي الجميل ، كذلك زرت الإسطنبول الذي اشتهر بالعربات والسيارات القديمة .

وبعد ثلاثة أيام من الإقامة المريحة انتقلت بالقطار إلى مدينة مدراس وهي أشهر مدينة على خليج البنغال وقد شهدت صراعا في الماضي بين المستعمرين البريطانيين والفرنسيين ، حيث كان للبريطانيين في البداية حراس لحماية منشآت شركة الهند الشرقية التي تأسست في بداية القرن السابع عشر ثم تطور هذا (الحرس) إلى جيش نظامي مقاتل استطاع في حروبه الانتصار على أمراء المقاطعات الهندية الواحد تلو الآخر ، وأحيانا بالتحالف مع الأمراء المحليين بعضهم ضد بعض ، وقد اشتهر في هذه المعارك موظف مدني كان يعمل في الشركة البريطانية ولكن باستعداده الفطري للقيادة أصبح يقود ويوجه تلك المعارك ، واسمه (كلايف - Clive) واشتهر فيما بعد باسم Clive of India ، وقد صدرت عدة كتب عن حياته ، وحصلت على نسخة من بعض تلك الكتب مطبوعة في أواخر القرن التاسع عشر في إحدى المكتبات التي تبيع الكتب المستعملة في مدينة بومبي - اقتطف منه ما يلي إتماماً للفائدة مع الاختصار :

«في العام ١٧٤٤م وصل إلى مدينة مدراس شاب إنكليزي في العشرينيات من عمره يدعى روبرت كلايف Robert Clive عمل بوظيفة كاتب في مخازن الشركة - شركة الهند الشرقية - وكانت هذه الفترة بداية تفكك حكم دولة المغول في الهند وبداية ظهور النفوذ البريطاني في منطقة مدراس وبقره النفوذ الفرنسي في منطقة (بونديري - Pondicherry) ، وخلال تلك الفترة التي بدأ فيها التنافس على النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في أوروبا ثم انتقاله إلى الشرق الأوسط ومنها إلى الهند ، وعندما نشب الصراع بين الإنكليز والفرنسيين بالهند ترك وظيفته المدنية والتحق مع القوات المقاتلة ضد الفرنسيين حيث أظهر مهارة فائقة عندما تولى قيادة إحدى الوحدات ، وهكذا تقلص النفوذ الفرنسي ليحل محله النفوذ البريطاني» .

والذي يزور الهند قد يستغرب من عدد اللغات التي يتكلم بها سكان شبه القارة الهندية المترامية الأطراف ، فمثلا لغة أهل مدراس غير لغة أهل كاليكوت ، وهكذا حيث هناك كما علمت مئات من اللغات المحلية ، أما اللغات المعترف بها رسميا فيقال إنها ست عشرة لغة !

ومن حسن الحظ أن هناك لغة سهلة يتخاطب بها معظم أهل الهند هي التي تسمى (الهندستانية) ، وهي مزيج من اللغة الأردية التي يتكلم بها أهل البنجاب ، وفيها الكثير من الكلمات العربية والفارسية ، بالإضافة إلى بعض الكلمات من اللغة الإنكليزية .

أما على المستوى الرسمي فاللغة الإنكليزية هي اللغة المتداولة في الدوائر الحكومية وفي المحلات التجارية لاسيما البنوك .

وفي مدينة مدراس كانت لي فرصة زيارة بعض الأماكن الأثرية منها قبر البطل

المسلم (تیبوسلطان) الذي قاوم الاحتلال الإنكليزي فترة من الزمن . ثم زرت الكنيسة الذي تزوج بها كليف "Clive Of India" الذي سبق ذكره .

بعدها عدت إلى بومبي بعد رحلة ممتعة ومفيدة دامت حوالي شهر ، وفي وقت من فصول السنة مناسب ، وهنا قارب العام على الانتهاء وحل عام ١٩٤٦م الذي بدأ فيه العالم ينسى أويتناسى سنين الحرب وما رافقها من خير وشر كما قال أبو الطيب المتنبي :

### بذا قضت الأيام ما بين أهلها

#### مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد مضى على بقائي في الهند حوالي ستة أشهر لم أشعر خلالها بالوحشة أو بالغرابة ؛ لأنني كنت أعيش بين أهلي وجماعتي ، وفوق كل هذا فقد استفدت ماديا حيث قمت ببعض النشاطات التجارية .

لقد فاتني أن أذكر أن من أهم حوادث عام ١٩٤٥ اجتماع سبع دول عربية هي مصر وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية حيث تقرر تأسيس الجامعة العربية في شهر مارس من عام ١٩٤٥م ، وتم انتخاب السيد عبد الرحمن عزام ليكون أول أمين عام للجامعة ، وذلك بموجب بروتوكول الإسكندرية الذي تمت الموافقة عليه في أكتوبر ١٩٤٤م .

وقد سمعنا نحن في بومبي بشركة الملاحة البريطانية الهندية التي يرمز لها بالحرفين B.I ، والتي كانت تحتكر الملاحة بين الموانئ الهندية وموانئ الخليج بدأت رحلاتها من كراچي إلى البصرة حيث إحدى سفنها ستبحر في الأسبوع الأول في شهر فبراير (شباط) ١٩٤٦م فتوجهت إلى كراچي وتمت ترتيبات الحجز .

وصدفة وجدت هناك بعض الإخوة الكويتيين جاؤوا بنفس الغاية ، وكان من بينهم السادة ناصر الحسن الإبراهيم وعبد الله الدخيل وأحمد الرفاعي . وحن وقت السفر وقضينا وقتاً طيباً في تلك الرحلة من كراچي إلى البصرة التي دامت خمسة أيام .

وكانت آثار الحرب تفرض ظلالها على المنطقة ، فقد ظهرت طبقة من الأثرياء الجدد ليس في منطقتنا فحسب ، ولا في معظم بلاد الشرق الأوسط ، بل ربما في بلاد العالم وقد أطلق على هذه الطبقة اسم أثرياء الحرب ، وكان لبعضهم تصرفات خاصة تثير الانتباه .

وخلال هذا العام فتح الله على الكويت باب الخير حيث تدفقت أول شحنة من النفط من ميناء الأحمدية يوم ٣٠ يونيو (حزيران ١٩٤٦م) وذلك بحضور صاحب السمو الشيخ أحمد الجابر الذي أدار بنفسه صماماً فاندفع النفط إلى الشاحنة في ميناء الأحمدية ، وكانت أول كمية منه بلغت اثني عشر ألف طن - راجع الصورة بالملحق .

وكانت أسعار النفط مجحفة في حق البلاد المصدرة فسعر الطن كان خمس شلنات! أي ربع دينار<sup>(١)</sup> ، وظل الحال كذلك حتى قام محمد مصدق في إيران بانقلاب على الشاه بمساعدة رجال الدين وعلى رأسهم آية الله الكاشاني ، الأمر الذي اضطر شركات النفط في البلاد العربية ابتداء بشركة الأرامكو السعودية إلى دفع العوائد بنظام المناصفة Fifty - Fifty بعد خصم المصاريف ، ثم تبعتها بعض الشركات ومنها شركة نفط الكويت المؤلفة مناصفة بين شركة B.P البريطانية و Gulf الأمريكية ، وهكذا ارتفعت حصة الحكومة من سبعة عشر مليوناً عام ١٩٥١م إلى ستة وخمسين مليوناً عام ١٩٥٢م .

---

(١) الطن يساوي سبعة براميل.